بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولئك اى
الذين صفتهم ما ذكر اصحاب الجنة هم فيها خالدون دايمون مؤبدا لا انقطاع لنعيمهم
ولا زوال لذلك قوله تعالى مثل اى صفة الفريقين الكفار والمومنين المذكورين قريبا
كالاعمى والاصم هذا مثل الكافر والبصير والسميع هذا مثل المومن فالاعمى هو الذى
لا يهتدى لرشد والاصم هو الذى لا يسمع شيئا البتة من الحق وهذا حال الكافر والبصير هو
الذى يبصر الاشياء على ماهيتها وحقيقتها والسميع هو الذى يسمع الاصوات ويجيب الداعى
وهذا حال المومن والحاصل شبه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن
استماع كلام الله وتدبر مقالته وشبه المومن بالسميع والبصير لان امره بالعكس فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمومن بالجامع بين
البصر والسمع والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصالح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف
والطباق اما اللف لانه جمع بين الفريقين ونشره بقوله كالاعمى والاصم الاية واما الطباق لانه جمع بين
الضدين وهما الاعمى والبصير والاصم والسميع هل يستويان الفريقين المذكورين والاستفهام
انكارى يعنى لا يستويان من كان على بينة من ربه مع من لم يكن على بينة منه وقوله مثلا اى
تشبيها وتمثيلا او صفة وحالا وهو نصب على التميز على جميع الاحتمالات تلخيصه لا تساوى بين
الفريقين اصلا ولذا انكر الله على من لم يجزم به بقوله افلا تذكرون اى افلا تتعظون بضرب
الامثال والتامل فيها بان الفريقين لا تساوى بينهما لانه معلوم بداهة لا يتوقف على فكر ونظر قال
الفراء لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم فى حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع
فى حيز كانهما واحد وهما من وصف المومن ثم اعلم انه جرت عادة الله فى القران اذا اورد على
الكافر الدلايل اتبعها بالقصص لتوكد بها الدلايل وقد بدأ بذكر هذه القصة فى سورة يونس
وانعم علينا باعادتها ههنا لما فيها من زوايد الفوايد فقال ولقد ارسلنا نوحا بالايات
الناطقة والبراهين القاطعة وانما بدأ بقصته لانه اول نبى عذب قومه وكان قومه موصوفون
بالجهل المفرط والتعامى عن الحق الى قومه العماة الصم فصموا وعموا عن قوله انى لكم اى
بانى لكم ايها القوم قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى بفتح الهمزة والباقون بكسرها اما الفتح فعلى
اضمار حذف الجر اى بانى كما اشرنا واما الكسر فعلى ارادة القول اى ارسلناه بقوله انى لكم نذير
اى مخوف ومهدد للعصاة بالعقاب وكان بشيرا ايضا لقوله فقلت استغفروا ربكم انه
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا مبين اى ابين لكم موجبات العذاب لمن خالف امر
الله وعبد غيره ووجه الخلاص بان لا تعبدوا الا الله وهذا بدل من انى على قراءة
الفتح واما على قراءة من كسر فيجوز ان تكون ان مصدرية وهى معمولة لارسلنا ويجوز ان تكون
مفسرة والمفسر بها اما ارسلنا واما نذير انى اخاف عليكم ان عبدتم غير الله عذاب يوم
اليم اى مولم موجع وصف اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه تلخيصه ان الله فى الحقيقة
صفة المعذب اذ هو الخالق للالم لكن يوصف به العذاب وزمانه على المجاز العقلى على طريقة جد جده

وتبارك صايم للمبالغة قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الف سنة وخمسين سنة وقال
مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مائتين وخمسين سنة
مكث يدعو قومه تسع مائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره
الف سنة واربعمائة وخمسين سنة فقال الملأ الذين كفروا من قومه يعنى الاشراف والرؤساء
من قومه نوح عليه السلام ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا اى لا مزية لك علينا تخصك
من بيننا بما تدعيه من النبوة ووجوب الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة
جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك
ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتاتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله تعالى
بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال الله تعالى اخبارا عن قوم نوح وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعنى سفلتنا وخسائنا والرذل الدون من كل شئ وقيل هم
الحاكة والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة قال الاسناد هو جمع ارذل الذى هو صفة كاحمر
قياسه اذا لم تكن للتفضيل ان يجئ جمعه على فعل الا انه لما صار بالغلبة مثل الاسم حتى حذف موصوفه
جمع على افاعل او جمع اراذل جمع رذل وهو الدون من كل شئ كما اشرنا والحاصل ان الرفعة فى الدين
ومتابعة الرسل لا يكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل
ولا تضرهم خسة صنايعهم اذا حسنت سيرتهم فى الدين قوله تعالى بادى الراى يعنى
اتبعوك فى اول الراى من غير تثبت وتفكر فى امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراى يعنى
انهم اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا ويتعمقوا فيه قرأ ابو عمرو بادئ الراى بالهمزة من
البدء وهو اول الراى والباقون بياء صريحة مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها من البدو بمعنى
الظهور يعنى ظاهر الراى دون باطنه وهو منصوب على كلا القرائتين على الظرف واصله وقت حدث
اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه والعامل فيه اما
نراك اى وما نراك فى اول راينا على قراءة ابى عمرو او فيما يظهر لنا من الراى والتدبير فى قراءة الباقين
واما اتبعك اى ما نراك اتبعك اول رايهم وظاهر رايهم وما نرى لكم علينا من فضل اى لك يا نوح
ولمتبعيك يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة لاستوائنا فى البشرية وهذا القول ايضا جهل منهم
لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالمال والشرف والرياسة والجاه ثم قالوا لنوح
واتباعه بل نظنكم كاذبين اى نظنك يا نوح كاذبا فى دعوى النبوة ونظنهم كاذبين فى دعوى
العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغايبين وقيل الخطاب لنوح وحده من غير ادراج قومه معه
تعظيما له قال نوح يا قوم ارأيتم اى اخبرونى ان كنت على بينة اى على بيان ويقين وبرهان
وشاهد من ربى بصحة دعواى الذى انذرتكم به وآتانى رحمة من عنده اى اعطانى
هداية ومعرفة بايتاء البينة او النبوة والاضافة للتشريف فانه فضل من الله يؤتيه من يشاء
فعميت عليكم اى خفيت والتبست البينة عليكم فلم تهدكم فجعلتموها تلبيسا مع ظهور الفرق

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1